مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العددان التاسع والعشرون والثلاثون

لسنة 1436 - 1437 الهجرية الموافق: 2015 - 2016 الميلادية

العمل الإسلامي في السنغال
بين تنامي المشكلات وتضارب الأولويات

أ. أحمد مختار لوح
كلية الدعوة الإسلامية - فرع السنغال

بالرَّغْم من انتشار الإسلام المبكر في كثير من الأقطار الإفريقية المتاخمة للصحراء الكبرى، ونشأة مدن عديدة على أسس العلم والرباط والجهاد في سبيل الله منذ القرن الخامس الهجري؛ إلا أن انتظام الدعوة فيها في شكل مؤسسات وهيئات ذات اعتبار، لم يعرف النمو المطّرد له إلا في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين الميلادي، والذي واكب -إلى حدٍّ ما- موجات التحرّر السياسي، والأطروحات الداعية إلى إعادة تأصيل القِيَم، والأفكار، والتصوّرات، وفق عقيدة الفطرة التي قدّر لها أن تكون أهم عنصر في التاريخ الإفريقي الوسيط والمعاصر، والتي يصعب تجاهلها بأيّ شكل من الأشكال في المعادلة السياسية والثقافية الجديدة.

المؤسسة الصوفية:

يُعتبر التصوف بمختلف مدارسه وتجلّياته أقدم تنظيم ارتبط بالمخيلة الإفريقية الغربية، وأكثره شعبية، وقدرة على تعبئة الجماهير وسوقها نحو اتخاذ قرارات مصيرية؛ للأسباب الآتية:

1 - ظلّ التصوف المؤسسي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي

يمثّل الملاذ الآمن للمجتمع الإفريقي التقليدي الذي كان يرزح تحت نير الظلم الممارس من طرف البورجوازيات المحلية، وحلفائها الإقطاعيين، كما شكّل من جهة أُخرى، جبهة أمامية في وجه المستعمر الوافد ثقافة، ونظاماً، ومؤسسات. وفي ذلك يقول الككي مصطفى: «كان المجتمع السنغالي فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين يشهد مخاضاً تأويليّاً وإيديولوجياً مهماً، تداعت في ظلّهما الإمارات الإسلامية واحدة تلو الأُخرى، جراء تناقضات المنظومة المؤسِّسَة لمنظورية الرؤية، وكذلك أمام الهجمة الاستعمارية التي كان الإسلام حجر العثرة أمامها. وفي ظلّ هذا التدهور وهذا التكالب المرير على مقدّرات الأمة السنغالية، كانت الحرب ضروساً على أنقاض الطبقة الدنيا ذوي الأيدي العزّل من كلّ سلاح مادي أو معنوي، مما نتجت عنه ترسّبات لذهنية الاتكالية في روح المجتمع الفتية. . .

وهذه الذهنية الاتكالية، عملت على إقعاد المجتمع عن مواكبة مستجدّات العصرنة، وكان الموالي في ذلك المجتمع؛ تتوزّع عليهم الأدوار، إما موالاة الأمراء المستبدّين ذوي الملك البائد، أو موالاة المستعمرين، ذوي السواعد المفتولة، ولكلٍّ من ذينكم ضريبته التي تندى الجباه، وتغرورق لها عيون أهل الأنفة من الأباة»[1].

وهذا العقد القديم بين شيوخ التصوف وأتباعهم من طالبي النجاة، هو الذي يفسّر سرّ التفاف أبناء وأحفاد أولئك المبايعين اليوم حول هذه الزعامات «قادرية، تجانية، مريدية» وتفانيهم في الخدمة والحب والانصياع المطلق للأوامر الصادرة من الخليفة. .

2 - لقرب بعض الممارسات الصوفية من العقائد والتقاليد الإفريقية التي لا يزال الكثير منها معشعشاً في عقول العوامّ، كما يشير الدكتور خديم محمد سعيد امباكي بقوله: «بيد أن إقبال الأفارقة على الطرق يعود من جهة أُخرى

(1) الككي مصطفى جوب، "الحكمة المرتضاوية، قراءة في شعاراته الاستراتيجية"، **مجلة الأزهرطوبي**، العدد: 12 نوفمبر 2004م، ص7.

إلى تكيّف هذه الطرق مع البيئة الإفريقية وتقبّلها بصدر رحب كثيراً من العادات والتقاليد الإفريقية العتيقة»[1].

3 - لما يحمله التصوف في بعض تطبيقاته من قِيَم جماعية شريفة تقدّس العمل، وتعتبره أساساً للفرز الاجتماعي، والنجاة في الآخرة.

وتبرز المريدية في وجهها الإنتاجي وجهاً جديداً للتصوّف الإسلامي الذي كثيراً ما يوصف بأنه تنظيم يعتمد ثقافة الدروشة، والبطالة، والاتكالية، من خلال منظومة الخدمة التي تعني «المجمع بين العلم والعمل، كثنائية أُخرى من ثنائيات المنظومة الخديمية، التي بدأت من العبد الخديم - المخدوم- المعبود. الدنيا - الآخرة. العلم - العمل... وهي سلسلة تنتهي بالعتق - الجوار كدمج لعالم الملك في عالم الملكوت دمجاً يلتقي فيه الحاضر والماضي كما يقول صالح سلام يتخطّى النهائي في اللانهائي أملاً لبلوغ إنسان مطلب الفوزين»[2].

ولا غرو إذن أن اعتبرت المريدية في طرحها الاقتصادي بروتستانتية جديدة في الفكر الإسلامي الصوفي، كما يقول المفكّر المالي «همباتي باه».

4 - دعم أواصر الاستقرار الاجتماعي عن طريق الصِّلات الروحية والاجتماعية المتولّدة التي جعلت من قبائل شتى وعشائر شتى متحدة في شبكة اجتماعية موحّدة وقوية «عربية، حسانية، فلانية، ولفية».

هذه المُعطيات وغيرها، جعلت من التصوّف المؤسّسي منطلقاً مهماً، لدعم ورعاية العمل الإسلامي المنسّق في إفريقيا الغربية المعاصرة. وينشط التصوّف في المجالات الآتية:

- التعليم في المجالس والكتاتيب القرآنية التقليدية.

(1) **التصوّف والطرق الصوفية في السنغال**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2002م، ص31.

(2) الككي مصطفى جوب، مرجع سابق، ص7.

- التعليم في المدارس العربية الإسلامية المعاصرة «سلسلة مدارس الأزهر في السنغال، ومدارس سبيل الفلاح لسعيد بن عمر الفوتي التجاني في مالي».
- التأليف والبحث، وتوفير الكتاب الإسلامي.
- تنشيط المجال الاجتماعي والتنموي، من خلال الدوائر التي تأسست داخل وخارج السنغال في كلٍّ من أمريكا، وأوروبا، وإفريقيا الجنوبية والوسطى. «والدائرة تجمّع شعبي حديث يضم أتباع طريقة معيّنة يقيمون في مكان واحد، ويكون لها جهاز إداري يتكوّن من رئيس، ونائب رئيس، وأمين عام، وأمين الصندوق. وتتوقف أهمية الدائرة على حجمها، فقد تضمّ عمال شركة أو مصنع أو وزارة. وقد تشمل جميع أتباع الشيخ المقيمين في المدينة. وقد تتفق دائرة على الانخراط في سلك اتحاد»[1].

وقد تمكنت إحدى الدوائر المريدية في الخارج من بناء وتجهيز مستشفى راقٍ في مدينة طوبى، وهو: مستشفى مطلب الفوزين الذي كلّف الدائرة ما يزيد على ستة آلاف مليار فرنك سيفا.

الجمعيات والاتحادات الإسلامية:

في بدايات القرن العشرين الميلادي، استأنف بعض الطلبة السنغاليين رحلات طلب العلم التي قادتهم إلى معاهد المشرق والمغرب العربيين. وبالرَّغْم من أن أمنيات الكثيرين العلمية لم تتحقّق لتدخّل سلطات الاستعمار الفرنسي المبكر في ترحيلهم إلى بلادهم، غير أنه نتج عن هذا الاتصال بعض الآثار المتمثّلة في نشأة مدارس منظمة وجمعيات، منها على سبيل المثال:

1 - حركة الحاج محمود باه 1906م-1978م الذي تخرّج من مدارس الفلاح الإسلامية في مكة المكرمة. وعاد إلى السنغال وموريتانيا متشبعاً بالروح

(1) خديم محمد سعيد امباكي، **التصوف والطرق الصوفية في السنغال**، ص144.

الإصلاحية التي تأثر بها جراء اتصاله بشيوخ الدعوة السلفية في الجزيرة العربية، حيث تمكّن من بناء 89 مسجداً، و77 مدرسة إسلامية في عدد من الأقطار الإفريقية.

2 - الجمعية الثقافية الإسلامية التي تأسّست عام 1930م بمدينة سان لويس، وقد سمحت الإدارة الاستعمارية بإقامتها، لكنها في الحقيقة لم تتح لها فرص العمل الجاد، وبالتالي لم تنجح في تحقيق أيّ هدف إسلامي ملموس.

3 - الاتحاد الثقافي الإسلامي الذي أسّسه المرحوم شيخ توري في نهاية الخمسينيات، بعد عودته من الجزائر متأثراً بدعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس وزملائه على فكرة أن «على العقيدة الإسلامية القائمة على القُرآن والسُّنَّة والإجماع أن تتصدّى لقضايا الحياة المعاصرة، وإن العودة إلى المصادر الأصلية وفهمها فهماً جيداً يسمحان باستخلاص المبادئ التي تساعد على حلّ المشاكل المطروحة»[1] وتلخّصت مبادئه في الآتي:

- مناهضة التيار التغريبي الذي يعمل على اغتيال ذاكرة الشعوب الإفريقية.
- محاربة الشعوذة، والخرافة والدجل، واستغلال الدِّين لتحقيق مآرب مادية ظرفية، والممارس من طرف المتشيّخين وأنصاف المتعلّمين الذين صاروا بفعل الوراثة مقدّمين وزعماء دون أهلية تُمكّنهم من تَبَوُّئ هذه المناصب الحساسة.
- تحرير الذات الإفريقية، والثقافة الإسلامية من عيوب الدسّ والتشويه التي طالتها جراء تمكّن الاستعمار، وتقاعس المؤسسة الصوفية عن أداء دورها[2].

(1) أحمد أنداك لوح، "الاستعمار الغربي وأثره على علائق التواصل بين شمال إفريقيا والسودان الغربي"، رسالة ماجستير مرقونة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا، 2000-2001م، ص252.

(2) انظر: أحمد انداك لوح، مرجع سابق، ص251-255.

جماعة عباد الرحمن:

نشأت الجماعة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين إثر انشقاق حصل في صفوف الاتحاد الثقافي الإسلامي، وهي الآن: جمعية ثقافية دعوية اجتماعية معترف بها رسمياً من طرف الحكومة السنغالية، تتخذ من مدينة تياس مقراً دائماً لإمارتها. وتغطي أنشطتها التعليمية، والتكوينية، والدعوية مختلف الأقاليم السنغالية، منتهجة في ذلك منهج الوسطية والاعتدال، ومراعاة البعد الزماني والمكاني للأوساط المستهدفة. وبالرَّغْم من قصر عمر الجماعة، وضآلة إمكانيتها المادية، فإنه يُسجّل لها ما يلي:

- أحيت الكثير من السنن التي كانت مجهولة، أو مطمورة لشيوع الجهل، وعدم توفّر الكتاب الإسلامي، مثل سنة القبض في الصلاة، والتهجّد في العشر الأواخر من رمضان، والاعتكاف في المساجد.
- أعادت للمرأة المسلمة في السنغال ماضيها المشرق في العفاف، والاحتشام، من خلال الحجاب الشرعي الذي اكتسح بشكل لافتٍ للنظر مختلف المؤسسات التعليمية، والإعلامية، والإدارية، وصار يمثّل رمزاً للطهر والالتزام، تصنّف من خلاله المرأة المسلمة.
- اخترقت الأوساط الثقافية «الجامعة، معاهد التكوين، نوادي الشباب» التي ظلّت لفترة طويلة معاقل حصينة لحماية العلمانية، وتفريخ الرؤى والأطروحات التي تقدّم خطاباً عن تقويم العقيدة والكون والحياة غريباً في الوسط الشعبي الذي ما زال يتمتع بقدر كبير من الممانعة النفسية.
- تقدّمت بخطوة مهمة وجادة نحو إصلاح التعليم الأصيل في السنغال، بإنشاء رياض أطفال إسلامية، ومدارس ابتدائية، وإعدادية مزدوجة، تُدرّس فيها اللُّغة العربية والعلوم الإسلامية من الصف الأول جنباً إلى جنب، مع المنهج داخل وخارج السنغال، تخرّجت منها دفعات يمارس بعضها وظائف راقية في الأجهزة الإدارية والأكاديمية، بروح إسلامية تؤطرها النزاهة والاستقامة.

- استفادت الحركة من خطابات الإصلاحيين في المغرب والمشرق، من أمثال عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد عبده، وجمال الدِّين الأفغاني، وحسن البنا، ومحمد بن عبد الوهاب، لتقديم رؤية إسلامية أكثر تبصّراً وإدراكاً لواقع الأمة المتأزّم.
- عملت على تحسين علاقتها بالطرق الصوفية؛ بوصفها مدارس سلوكية وتربوية، يصعب تجاهل دورها لدى صياغة معالم المشروع الحضاري الإسلامي المتكامل.

البعثات الدعوية الوافدة:

مع منتصف الستينيات، أخذت المنظمات والهيئات الخيرية العاملة في الدعوة والإغاثة، تفتح مكاتب لها في السنغال والمنطقة الإفريقية، ومن المكاتب الموجودة اليوم في السنغال:

1 - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية).

2 - رابطة العالم الإسلامي (سعودية).

3 - هيئة الإغاثة الإسلامية (سعودية).

4 - جمعية إحياء التراث الإسلامي (كويتية)..

5 - لجنة مسلمي إفريقيا (كويتية).

6 - النواة العالمية للشباب الإسلامي (سعودية).

7 - منظمة الدعوة الإسلامية (سودانية).

8 - هيئة الأعمال الخيرية (إماراتية).

9 - حوزة الرسول الأكرم (إيرانية).

10 -مؤسسة آل البيت (إيرانية).

بالإضافة إلى المكاتب التي أغلقت لدواعٍ سياسية، أو ضائقات مالية، مثل: بيت الزَّكَاة الكويتي، مؤسسة الحرمين السعودية، والوكالة الإسلامية الإفريقية السودانية. وتنشط هذه المكاتب في الآتي:

- بناء المساجد.
- حفر الآبار.
- كفالة الأيتام.
- تنظيم رحلات حج إلى الأراضي المقدسة.
- برامج لإفطار الصائم.
- توزيع أضاحٍ.
- توزيع مصاحف وكتب، ومطويات بالعربية، يغلب عليها طابع الدعاية الأيديولوجية، أو مذهب معيّن.
- تنظيم دورات، ومخيمات ولقاءات ثقافية.
- تمويل بعض المشاريع التعليمية ذات التكلفة المحدودة.

صبغة العمل:

بما أن هذه المكاتب تمثّل بلاداً مسلمة وهبها الله ثروة نفطية مكّنتها من اقتطاع جزء من فائضها المالي، وإنفاقها في وجوه الخير والبر تنفيذاً لواجب يُمليه عليها الوازع الدِّيني والإنساني ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[1]، فإنها تعمل في حدود ما تسمح به الموارد المالية التي رصدت لها، وعلى هدي من الفلسفة العامة التي تقوم عليها السياسة الدِّينية لدولها، وبالتالي يلاحظ عليها:

غياب التنسيق المطلق فيما بينها لدرجة تجعل من المسلم العادي الذي لا يفقه قواعد اللُّغة السياسية والحساسيات الإقليمية، يتنقّص بعض المكاتب، ويناصبها العداء، وقد يبالغ في تحذير الطلبة من السفر إلى البلد الفلاني، أو قراءة أيّ كتاب يصدر منه... ومما يؤسف له أن أكثر هذه المكاتب تسعى

(1) سورة الذاريات، الآية: 19.

جاهدة للتودّد إلى السلطات الرسمية، والشخصيات اللادينية، والانتهازية التي تربطها بالدِّين خيوط أوهن من بيت العنكبوت، ولا تبذل أيّ جهد عملي لرأب أيّ صدع في بنيان العمل الإسلامي المنسّق في المنطقة.

اعتبار الأيديولوجيا وحدها أساساً للفرز والاعتبار، مما يضيق عليها نطاق العمل، ويرسم لها خطوطاً حمراء لا ينبغي تجاوزها في وسط يقوم على التنوّع والتعدّدية في كلّ شيء. وقد أحدثت هذه الرؤية القطرية والطائفية في العمل الإسلامي جروحاً غائرة أصابته في المقتل، وبالغت في تهميشه وإبعاده، منها:

- حصر أنشطة هذه المكاتب في دائرة مكانية ضيقة، تحت وصاية حفنة من الانتهازيين السنغاليين الذين لا يريدون لها أن تفتح عيونها على هذا الواقع المتردي الذي يعيشه العمل الإسلامي في المنطقة، ويفاتحونها دائماً بأن كلّ شيء على ما يرام، وأنه ليس بالإمكان أفضل مما هو كائن.
- انتشار ظاهرة الكذب والغلّ في أوساط الدعاة المحليين الذين كثيراً ما يرسلون تقارير مزيّفة عن إنجازاتهم الميدانية، وعن عقائد، واتجاهات، وسلوكيات إخوانهم وزملائهم، تملّقاً وتزلّفاً إلى مسؤولي هذه المكاتب... وينبغي لهذه المكاتب أن تتحمّل مسؤوليتها الأخلاقية المترتّبة على القرارات التي تتخذ ضد بعض الدعاة نتيجة تقرير مزيّف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].
- يعتبر مسؤولو هذه المكاتب أنفسهم أعضاء في السلك الدبلوماسي المعتمد، وبالتالي يفضّلون -غالباً- حفلات الكوكتيل والرسميات على الاتصال المباشر بالشعوب، والاستماع إلى قضاياها ومشكلاتها، بخلاف الهيئات التنصيرية، بل وينظر بعضهم إلى مواطني هذه البلاد نظرة ملأى بالاحتقار والازدراء.

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.

العمل الإسلامي في المنطقة: تحدّيات ومعوّقات

إذا نظرنا إلى التقارير التي تصدر من الدعاة المحليين، ومن المنظمات الوافدة، قد نُصاب بداء الغرور والانبهار، فنعتقد خطأ أن العمل الإسلامي في المنطقة يسير نحو الاتجاه الصحيح، غير أن إلقاء نظرة عجلى إلى المعطيات الميدانية كمّاً ونوعاً كافٍ للحكم على عدم دقة هذا الاستنتاج الغارق في بحر من التفاؤل والتسطيح.

يواجه العمل الإسلامي المنسّق تحدّيات جمّة، نقسمها إلى تحديات بِنْيَوِيَّة ناجمة عن فلسفة العمل ومنهجيته، وتحدّيات طارئة ظرفية يمكن تطويقها.

من التحديات البِنْيَوِيَّة:

أولاً: ضبابية المرجعية:

ينطلق العمل الإسلامي في المنطلقات من مرجعيات متعدّدة، تتفاوت في درجة قربها وبعدها بعضها من بعض، وينظر كلٌّ منها إلى الأُخرى نظرة اشمئزاز وامتعاض، قد تقضي على مختلف الجهود الرامية إلى الإصلاح والتطوير. فهذا التعدّد المرجعي ليس عيباً في حدّ ذاته إلّا إذا انطلق من منطلق اعتبار الفروع والاجتهادات الفقهية مسلّمات ثابتة ومطلقة تُلغي أيّ دور للفرد المسلم الذي تمكّن -قبل انغلاق باب الاجتهاد في عصور التخلف والجمود- من التكيّف مع المتغيّرات في محيط الثقافة والاجتماع إيماناً منه بتراكمية المعارف الإنسانية ونسبيتها، وفي ذلك يقول ابن القيم: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بدّ منه لتفاوت إدراكهم وأفهامهم، وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف فإنه أمر لا بدّ منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة، لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافا لا يضرّ»[1].

(1) ناصر بن سليمان، "الاختلاف في العمل الإسلامي، الأسباب والآثار"، نقلاً عن **الصواعق المرسلة** لابن القيم، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

وتظهر آثار هذا التخبّط المرجعي في الآتي:

1 - التنافس في بناء المساجد وزخرفتها بمبالغ ضخمة، دون احتياج المناطق إليها.

2 - انعزال كلّ طائفة، أو جماعة في مساجدها التي توصف وصفاً طائفياً (مسجد التجان، مسجد المريد، مسجد السلفي) انعزالاً يمنع الجهلة وعوامّ الناس المُخالفين من الصلاة فيها، وتُثير بين الحين والآخر فتناً قد تؤدّي إلى إغلاقها.

3 - التوسّع في إنشاء مدارس أهلية عربية وإسلامية، تدرس الدِّين وفق هوى النحلة التي تتبعها، وتعرض مخرجاتها لمزيد من البطالة والعطالة.

ثانياً: الخلل في التنظيم

تشهد الساحة الدعوية في بلادنا زخماً من الجمعيات والهيئات التي تسمي نفسها إسلامية، تنشط في الدعوة، والتعليم، والإغاثة، يناصب بعضها عداء سافراً للآخر، ويسدّ في وجه التعاون في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه، وتتجلّى آثار هذا الخلل البنيويّ في التنظيمات الإسلامية في الآتي:

- اتخاذ الدِّين مطية للارتزاق، وأكل أموال الناس بالحيل، والمشروعات الوهمية التي قد لا ترى النور أبداً.
- خلق شبكة واهية من المصالح المادية التي تربط زعماء التنظيمات المحلية، بالمحسنين العرب الذين يفضّلون التعامل على أساس العلاقات الشخصية، غير آبهين بمعايير الكفاءة والنزاهة.
- إحاطة التنظيم بسياج من الغموض والتكتم، يجعل من الجمعية ملكاً أبدياً للرئيس وعائلته، ويحدّ من فاعليتها وشفافيتها.
- غياب فريضة الشورى التي تلزم التداول والنقد والمحاسبة «إن غياب الشورى بأبعادها السليمة عن بعض التنظيمات الإسلامية، شيء

مذهل. فإمارة الجماعة، وقيادتها ممنوعة من التداول. وما يوصف به القائد الملهم فوق ما يوصف به النبي المرسل»[1].

- تعطيل النقد والتقويم والمراجعة التي تجعل من التنظيم المسؤول الأول والأخير عن كافة الهنات والعثرات.

ثالثا: سلبية الخطاب

قد انعكس هذا الواقع سلباً على الخطاب الإسلامي في المنطقة، تتجلّى آثاره في الآتي:

- عدم اهتمام الخطاب بقضايا الإنسان، ومشكلاته في هذه المنطقة التي تزداد حدّة، كالأمية، والفقر، والهجرة، وحصرها في دائرة الخِلافات المذهبية، أو الردّ على بعض مدارس كلامية انقرضت مع انقراض روّادها.
- غربته في البيئة الإفريقية.
- اختزال التاريخ في الماضي، وإلغاء أهلية الإنسان العقلية وقابليته للنهوض والإنجاز.
- السذاجة والسطحية في معالجة قضايا الدعوة الملحّة.
- الرؤية الذرائعية لمشكلات المسلمين، ومعوّقات نهوضهم، باختلاق أوهام المؤامرة.
- العجز عن إدارة فقه الاختلاف.

التحديات الطارئة:

وتتمثّل في الهيئات التنصيرية والتحالفات الماسونية التي وفدت إلى المنطقة مؤخراً؛ منها:

(1) عمر عبيد حسنة، **مرجعيات في الفكر والدعوة والحركة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، 1991م، ص102.

1 - كاريتاس.

2 - أفريكير.

3 - آتي، تي، العالم الرابع.

4 - كنسيات مجالس الإله.

5 - المؤسسة المسيحية للأطفال.

6 - الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية.

7 - الكنيسة الإنجليزية اللوثرية.

8 - الإغاثة اللوثرية العالمية.

9 - الاتحاد المسيحي للشباب.

10 -الإغاثة الإنجليزية.

آليات العمل لدى هذه الهيئات:

- تشخيص الواقع الاجتماعي والسياسي للوسط المستهدف.
- تحديد أولويات المواطنين الاجتماعية والتنموية.
- إشراك الكفاءات المحلية في تنفيذ المشروعات.
- التركيز في المناطق النائية ذات الكثافة الإسلامية.
- التركيز في المشاريع الاجتماعية ذات الجدوى والاستمرارية «مستشفيات وعيادات طبية، آبار أورتوازية، توزيع الأسمدة والبذور والأدوات الزراعية، إقامة تعاونيات وتعاضديات زراعية، وإنتاجية في الأوساط الريفية، تقديم قروض ميسّرة للمزارعين والتجمعات النسوية، تجهيز الفصول الدراسية بالمختبرات وأجهزة الحاسوب».
- خلق شبكة جديدة من العلاقات مع زعماء الطرق الصوفية، والمدارس القرآنية، وهي: النقطة التي أثارت مخاوف عدد كبير من الدعاة والمؤسسات الإسلامية الدولية. فقد كتبت مجلة رابطة العالم

الإسلامي في العدد 505 مقالاً بعنوان: «من خلال تمويل منظمة أسسها قس أسترالي الخارجية الأمريكية ترعى تحفيظ القُرآن لـ (3800) طفل سنغالي». وبعد أن عالج المقال تدخّل هذه المنظمة في تغيير وتطوير المناهج الدراسية في المدارس القرآنية، من خلال برنامج الغذاء من أجل التقدّم الذي استفاد منه 4000 آلاف طالب في المدارس القرآنية في السنغال؛ علّق بعبارة غاية في السذاجة والتهرّب من المسؤولية، وهي: «يذكر أن السنغال من أفقر دول العالم ويبلغ عدد سكانها 11 مليون نسمة يدين معظمهم بالإسلام ومتوسط دخل الفرد السنوي يبلغ 721 دولاراً»[1].

مقترحات إصلاحية:

أولاً: مدخل تربوي ثقافي:

بما أن التعليم العربي الإسلامي، يمثّل المصنع المُنتج لدعاة وفقهاء ومفكّري الإسلام اليوم، فإن إصلاح منظومته يأتي في سُلّم أولويات النهوض بالأمة، وتحقيق شهودها الحضاري، وتطوير خطابها الدعوي..

وطرح المسألة الثقافية في العالم الإسلامي، ليس إحدى ثمار الحملة الدولية على الإرهاب التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر كما يتخيّل الكثيرون، فهو: طرح قديم جديد ينبغي أن تتصدّى له الأمة سواء وجدت أمريكا أو اختفت على الأرض، فقديماً قال الغزالي عن فقهاء عصره: «لم أجد من علماء عصري الذين علمتهم المساجد والمدارس إلا طلاب دنيا يشترون متعها بالدِّين»؛ ولذا دعا إلى إحياء الهمة في نفوس المتعلّمين عن طريق المجاهدة والرياضة الروحية، ومثله الإمام الجليل محمد الطاهر بن عاشور الذي نادى في بداية القرن العشرين الميلادي إلى تطوير التعليم الدِّيني في الأزهر والزيتونة، والقرويين، وألّف كتابه

(1) **مجلة الرابطة**، مكة المكرمة، العدد 501، صفر 1429 الموافق 2008م، ص80.

المشهور «أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية» يقول فيه: «فلا بدّ للناظر في أمر التعليم العربي الإسلامي من صرف غاية حذقه ومواهبه إلى وضع برامج تحقّق حياة هذا التعليم على حالة كاملة، وتحقّق مقاصد طالبيه في معترك حياة عصرهم، وتحقّق مقاصد الأمة من خرّيجي هذا التعليم»[1].

وذهب الشاعر الباكستاني الفيلسوف محمد إقبال مذهباً يؤكّد ما عالجه الأوّلان من قصور هذا التعليم، وعدم فاعليته حيث يقول: «لقد خرجت من المدرسة والزاوية حزينا، لم أجد فيهما الحياة ولا الحب، ولا الحكمة، والبصيرة... أما رجال المدرسة ففاقدو البصر، وميتو الذوق، وأما شيوخ الزاوية، فقاصرو الهمة، ضعيفو الطلب، قليلو البضاعة»[2].

- تهيئة الجو النفسي والفكري الهادئ للمعلّم والمتعلّم في هذا النظام، الخالي من الضغط، والتسلّط، والوصاية.
- تبنّي مهارات التفكير الإبداعي في مختلف مراحل الدراسة والعناية بالتدريب.
- زيادة ساعات الدراسة، والتقليل من الإجازات الطويلة والكثيرة التي لا تساعد المجتمعات النامية التي ننتمي إليها على النهوض، وردم الفجوة المعرفية.
- تنمية البحوث العلمية التي تعالج مشكلات الإنسان من وجهة نظر قرآنية.
- إقامة مدارس نموذجية لرعاية الموهوبين، والعناية بالمبدعين.
- ربط مخرجات هذا التعليم بمتطلّبات سوق العمل، حتى لا يتحوّل الدعاة والفقهاء إلى صعاليك ومتسوّلين، يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً.

(1) محمد الطاهر بن عاشور، مقدمة كتابه: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمان، ط1999م، ص17.

(2) أبو الحسن الندوي، **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1985م، ص44.

- تغيير أدوات القياس والتقويم، بحيث تركّز عل الجوانب العلمية والتطبيقية، والتدريب على حلّ مناهج جديدة لتدريس العلوم الإسلامية، تتلقّاها من مواد «الفقه والتفسير والسيرة والعقيدة» إلى الوحدات الدراسية الآتية:
- منهج القُرآن في تقرير الأحكام.
- تقويم الكون والعقيدة والإنسان في القُرآن الكريم.
- التفسير القرآني للتاريخ الإنساني.
- آيات الله في الأنفس والآفاق.
- فقه المقاصد الشرعية.
- فقه الأولويات.
- فقه الاختلاف وضوابط الحوار.
- فنّ التواصل الإنساني في القُرآن الكريم.
- عوامل نهضة الأمم ونكوصها في القصة القرآنية.

فهذا الطرح المقترح لتأهيل الدعاة والفقهاء، ومدرّسي العلوم الإسلامية، سيركّز على النقد والتفسير والتحليل، بدل الترديد والتصوير والسائدين في امتحانات اليوم، وسينمّي -إن أُحْسِنَ تطبيقهُ- الذاكرة والتفكير معا حتى لا نكون أسارى كتب التراث، وقعيدي اجتهادات السابقين كما يشير ابن عاشور في التعليم الزيتوني: «وقف بنا المسير، وضاقت بنا التآليف، واختلطت العلوم، وأصبحنا نتابع ما وجدنا غير شاعرين ألحسن اتبعناه، أم لقبح نبذناه. وتبدّلت العصور، وتقدّمت العلوم، وطارت الأمم، ونحن قعيدو علومنا وكتبنا، كلما أحسسنا بنبأة التقدّم والرقي وتغيّر الأحوال استمسكنا بقديمنا، وصفدنا أبوابنا. فإنك لتنظر الرجل وهو ابن القرن الرابع عشر فتحسه في معارفه وعلمه وتفكيره من أهل القرن التاسع أو العاشر، مما هو معلوم لوقوف تقدّم التآليف عند الحدّ الذي تركه الواقفون فرزئ الناس فائدة الانتفاع

بأخلاقهم وعوائدهم ومكتشفاتهم، وسلبوا شرف النفس باعتيادهم التقليد والاستكانة لكلام الغير واعتقادهم أن ما أتى به الأقدمون هو: قصارى ما تصل إليه قدر البشر، فهم إذن عالة عليهم في العلم، والعبادة، والصورة، والاختيار أيضاً»[1].

مدخل مؤسّسي «تطوير المنظمة»:

لتطوير العمل الإسلامي مؤسساتياً في المنطقة؛ نقترح:

1 - تطبيق مبادئ التفكير التسعة المعروفة بالإنجليزية بـ scamper لتعديل وتصحيح انحرافات الماضي.

2 - التخطيط للمرحلة القادمة.

ولتطبيق مبادئ التفكير التسعة، نقوم بالآتي:

- نستبدل نشاطاً بآخر أكثر فعالية وأقل جهداً وكلفةً.
- نكيّف أنشطة في بيئات كانت مغلقة أو صعبة الوصول.
- نطوّع قدراتنا وإمكاناتنا لما هو أفضل.
- نضخّم تحدّيات استصغرناها سابقاً.
- نعدّل قرارات سابقة اتخذناها بارتجالية وعشوائية.
- نوظّف وسائل مهملة في استخدامات أُخرى.
- نستبعد برامج عديدة ليست مجدية في المرحلة الحالية.
- نعيد ترتيب استراتيجيات لم تؤدِّ إلى نتائج عملية مُرضية.

3 - ولتخطيط المشروعات القادمة في المنطقة وتقويمها ينبغي الاستئناس بالجدول التالي:

(1) محمد الطاهر الميساوي، مقدمة **مقاصد الشريعة**، ص41.

التحليل الداخلي / التحليل الخارجي	نقاط القوة:	نقاط الضعف: . . . .
الفرص:	. الاستفادة من نقاط القوة لاقتناص الفرص . الاستفادة من الفرص في تعزيز نقاط القوة.	. معالجة نقاط الضعف من أجل اقتناص الفرص.
التهديدات:	. الاستفادة من نقاط القوة للتقليل من المخاطر ودفع التهديدات.	. . . .

والله الموفّق والهادي إلى الصواب.